جامعة القادسية
كلية التربيـــة
قسم التاريـخ

المُلك والسياسة في رؤية ابن الطقطقى من خلال كتابه الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية

إعداد

المـدرس المساعـد

زهير يوسف عليوي

مستخلص البحث

اهتم عدد كبير من مؤرخينا العرب المسلمين بدراسة مفهوم الملك والسياسة والأمور السلطانية والأحكام ،وقد وضعوا نظريات وأسسا أصبحت فيما بعد الأساس لدراسة النظم الإدارية والسياسية للدول وهي حتى يومنا هذا تتبوء أهمية كبيرة في الدراسات التاريخية وخصوصا تلك التي تناولت أمور الدول وأسباب سقوطها ولعل أهم من اختص في مثل هذه الدراسات مؤرخون عظماء ما زالت نظرياتهم تؤخذ بعين الاعتبار حتى يومنا هذا ، مثل : إبن خلدون والماوردي وابن الطقطقي وغيرهم.

يمثل البحث محاولة لتوضيح أهمية النظم السياسية عند المؤرخين العرب واقتصر الحديث عن ابن الطقطقي ، لأنه يعد من أهم المفكرين والمنظرين السياسيين في الأمور السلطانية ،وقد توصل البحث الى أن فلسفته أكدت أن نجاح الدول يتوقف على نجاح سياساتها واختيار ملوكها وطبائع أولئك الملوك تجاه رعيتهم ، فكان ذا نظر ثاقب في وصف طبائع الملوك وشروط الملك الناجح، وأنواع السياسات وتدبير شؤون الدول بما ينسجم مع تلك السياسات .

المقدمة

يعد ابن الطقطقي من كبار المؤرخين الذين تناولوا النظم السياسية وأخبار الدول الإسلامية، وقد ساعدتهُ الظروف التي عاشها على تكريس جهودهُ في البحث عن الحقائق التاريخية التي كانت تمثل همه الوحيد . وقد ساعدت مؤلفاته على تكوين الصورة الحقيقية لأحوال الدولة الإسلامية وأخبارها .

وضع المؤلف كتابه (الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية) وتضمن ما يشترط على الملك والرعية وشروط السياسة والرئاسة والدول الإسلامية ، وقد جعل ابن الطقطقي الغرض من كتابه تبصرة الأمراء والسلاطين بشؤون السياسة والمُلك والإدارة ، إذ يعد القسم الأول من كتابه الذي تناول الأمور السلطانية بأهمية كبيرة ، فهو يوضح فيه النظم السياسية ، والملكية وخواص الملك ، وواجباته تجاه رعيته ، وما يجب عليهم تجاههُ .

من هنا جاء اختيار موضوع البحث ، فهو دراسة لمفهوم الملك والسياسة والرؤية التي طرحها ابن الطقطقي لهذين المُصطلحين ؛ نظراً لأهميتهما في النظم السياسية والإدارية.

قسم البحث إلى ثلاثة محاور ، تناول المحور الأول ، حياة وعصر ابن الطقطقي ، وهو عرض موجز للعصر الذي عاش فيه ونشأته ، ثم رحلته العلمية و آثاره مع ذكر لأهم آراء المؤرخين عنهُ .

وفي المحور الثاني، تم دراسة رؤية ابن الطقطقي لمفهوم المُلك، ذا أ وضح صفات المُلك وأقسامها وهوعلى فرعين الأولى مستحبة أي مرغوبة والثانية غير مستحبة أي المكروه ، ثم تناول المبحث حقوق الملك وأولها حقوق ا لمُلك على رعيته وثانيها حقوق رعيتهُ عليه ، ثم تناول المبحث ما يكره من طباع الملوك وما يستحب منها ، ثم دور الرأي والمشورة في دوام سلطان الملك .

وكان المحور الثالث عرضٌ لمفهوم السياسة وأهم أصنافها ، واني أرجو من خلال بحثي هذا أن أكون وفقت في توضيح الرؤية التي طرحها ابن الطقطقي . وإبراز الدور التاريخي له؛ لأنه يعُد من المؤرخين الذين وضعوا نظرياتهم في الأمور السلطانية .

المحور الأول:

حياة وعصر ابن الطقطقي(٦٦٠هـ - ١٢٦٢م)(٧٠٩هـ- ١٣٠٩م) رؤية عامة

أولاً- اسمه ولقبه:

هو صفي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن تاج الدين علي بن شمس الدين بن رمضان بن علي بن عبد الله بن حمزة بن مفرج بن موسى بن علي بن قاسم الرئيس بن محمد بن القاسم الرسي بن إبراهيم بن إسماعيل الديباج بن الحسن المثنى بن الحسن السبط الملقب بـ ابن طباطبا [١] وكنايته: ابو جعفر بن الطقطقي

وللمؤرخين أقوال كثيرة في لقبه ، قيل إن طباطبا لقبُ يعود لثقل لسانه فيقال أن أباه أراد ان يقطع له ثوباً وهو طفل فخيره بين قميص وقبا فأجابه: طباطبا يعني قبا قبا [٢] فهو يلفظ القاف طاءً. وقيل بل أن سواد الناس من هم لقبوه بذلك وطباطبا بلسان النبطية : سيد السادات.[٣] أما قولهم ابن الطقطقي فإن أول من عرف بهذا اللقب من أسرة المؤرخ جده شمس الدين وبها عُرف البيت. [٤]، على أن سبب هذا اللقب هو حكاية صوت (الطقطقي)، إذ يُطلق هذا اللفظ على صفق الكلام وكثرته. [٥]

ثانياً- مولده ونشأته:

ولد محمد بن علي في مدينة الحلة سنة (٦٦٠هـ) وقد عاصر في طفولته بداية دخول الغزو المغولي للعراق [٦]، إذ شهد دخول هولاكو بغداد وتخريبها وعاش في ظل السيادة المغولية.

تزوج محمد بن علي بن محمد بن تاج الدين من إمرأة فارسية من خراسان ورزق منها ولداً سمي: علي الصغير، ويقال إنه تعلم شيئاً من الفارسية، بدأ عمله منذ أن اغتيل أبوه تاج الدين إذ أصبح نقيباً للعلويين في الحلة وكربلاء والنجف وتنقل في مدن أربل والبصرة والكوفة و أصفهان وغيرها. [٧]

وفي ظل الغزو المغولي، نال محمد شهرته أيضا كنقيب للطالبيين وكان سلطان المغول في عهده إلى غازان بن هولاكو ، وكانت السياسة المغولية تتجه نحو تقريب العناصر المهمة في المجتمع رغبةً منها في تحقيق مصالحها الشخصية ، وعلى إثر ذلك أخذ العلويون يكتسبون احترام حكام بغداد حتى صار لبعضهم نفوذ في البلاد. [٨]

لقد ساعد سقوط بغداد بيد المغول على انتشار مذهب التشيع و شجع المغول هذا المذهب دون سائر المذاهب الأخرى.

تأثرت الناحية العلمية قد بظهور بمجئ المغول إلا أنها استمرت بعد ذلك ، وهذا يغير ما علق في الأذهان من تسمية الفترة التي أعقبت سقوط بغداد بالفترة المظلمة. [٩]

كما أن القرن السابع الهجري قد شهد ظهور الأفكار التي كان لها شأن كبير في التدخل في الحياة السياسية ، فأخذوا يقربون كبار المجتمع خدمةً لمصالحهم. عاش ابن الطقطقي في هذه الظروف لذلك نلاحظ في مؤلفاته ميولاً واضحة إلى سياسة المغول نتيجة حُسن السياسة التي لقيها منهم . وقد بذلك تعرض سبب ذلك للنقد اللاذع من قبل المؤرخين لأنه مؤرخاً ذا هوى تجاه المغول أما عن وفاته فقد توفي سنة (٧٠٩هـ / ١٣٠٩م)

ثالثاً- عائلته:

يعود نسبه إلى العائلة العلوية التي تنتهي بالنسب إلى الحسن السبط (ع)، فهو علوي حسني، و كان لعائلته دورٌ كبير في مدينة الحلة إذ كان أبوه تاج الدين علي بن الطقطقي صدراً مهماً في مدينة الحلة يوم كانت الحلة ، مركزاً للفكر الشيعي الإمامي بمختلف جوانبه وفروعه خلال ثلاثة قرون من الزمن ،خصوصاً في القرن السابع الهجري إذ برز فيها الكثير من العلماء[١٠] .

كما شهدت هذه العائلة أيضا عصر فكر وازدهار ، فكان تاج الدين قد عين فيها سنة (٦٦٧م) صدراً بالأعمال الحلية.[١١] وهو بمثابة المحافظ في الوقت الحالي .يقوم بالأعمال الإدارية للولاية في العهد الايلخاني. ثم عين نقيباً للعلويين[*] في الحلة والنجف وكربلاء . إذ كانت النقابة العلوية ذات دورُ بارز في تلك المرحلة. وأطلق عليه: نقيب النقباء.

وقد ساعدته الأقدار حتى حصل على الضياع والعقار مالا يحصى . ويروى انه زرع أملاكا كثيرة وأصاب الناس قحطٌ شديد، فشرع النقيب في بيع الغلات فباع الأموال والأملاك فكان يضرب المثل بذلك الغلاء فيقال، غلاء ابن الطقطقي؛ لانه لم يكن احد يملك شيئاً يباع سواه [١٢].

نال تاج الدين شهرة كبيرة ومكانة لدى المغول. وقد اعتُمد عليه في كثير من المهام . وكان سلطان المغول آنذاك هو أبا قاخان بن هولاكو [١٣] . وارتفعت قيمة تاج الدين عنده . ونقل الى ظاهر سور بغداد وأصبح نقيباً للنقباء [١٤].

وكتب أبلقاخان في عزل صاحب الديوان وإقامتهُ عوضه ووعده بأموال جزيلة[١٥]. وقد ساعدت هذه المكانه و الأهمية والثقة التي نال ها تاج الدين على ظهور الوشاية والحقد والبغضاء من قبل بعض الشخصيات، ومن نتائج ذلك أنها ولَدتّ روح النفور تجاه حاشية السلطان وخصوصاً الوزير شمس الدين الجويني أخا صاحب الديوان عطا ملك الجويني فأخذ يكِد له الدسيسة، [١٦] وعلى اثر ذلك كتب شمس الدين إلى أخيه عطا ملك الجويني واستعد عطاء وأمر جماعة له بالفتك به ليلاً ففتكوا به وهربوا إلى موضع ظنوه مأمناً لهم ، ولما أمرهم بالمسير إليه صاحب الديوان عطاء . وعندما وصلو ا إليه وعلم بهم عطاء ملك الجويني خرج من ساعته لهم و قبض عليهم في ذلك الموضع وامر بقتلهم واستولى على أموال النقيب وأملاكه.وكان ذلك سنة ٦٧٢هـ [١٧] وبهذا انتهت حياة نقيب النقباء الطالبيين تاج الدين . إلا أن النقابة بقيت فقد تسلم النقابة من بعده ابنه محمد [١٨] وبدأت مسيرته التاريخية.

رابعاً- رحلته:

يروى أن محمد بن علي رحل في طلب العلم والاستزادة منه، وقصد البلدان من اجل ه وذلك هو شأن جميع العلماء ورجال الفكر.وقد مر بنا انه تنقل بين بلاد فارس والعراق بحثاً عن الحقيقة.

ويذكر أنه رحل في سنة ٦٩٦هـ إلى مدينة مُراغه [**]، وكان سبب رحلته إلى هناك أنه قصد المرصد الفلكي الكبير وخزانة الكتب العلمية التي بناها نصير الدين الطوسي [١٩]

أما رحلته الأخرى فهي الأهم إذ رحل الى الموصل ثم تبريز في سنة (٧٠١هـ).وهذه الرحلة لها أهمية كبيرة بالنسبة لابن الطقطقي، فقد روى عنهُ أنه عندما وصل الموصل حبسه البرد والثلج هناك فأقام فيها مكرماً من قبل واليها فخر الدين عيسى بن إبراهيم، وفي أثناء إقامته ألف كتابه ((الفخري)) وأهداه إلى والي الموصل واسماه باسم الوالي: فخر الدين.

لقد أثارت هذه الحالة شكوك المؤرخين وجعلتهم يحكمون عليه بأنه مؤرخ هاوٍ ، كان القصد من تأليف هذا الكتاب: إرضاءً لرغبة الوالي كما عدّه بعض المؤرخين منحازاً فيه إلى المغول.

وقد تحاملَ عليه المؤرخون و الكتُبّ لهذا الغرض فراح ابن الطقطقي ضحية الشكوك التي أثارها هؤلاء المؤرخون.

خامساً- آثاره العلمية:

من المتفق عليه ان ابن الطقطقي له مؤلفان، ولو أن المؤرخين يجعلون الغرض الأساس من تأليفهما هو إرضاء للسلطة الحاكمة فالكتاب الأول ألفهُ لحاكم الموصل وكان نصراً ًنيا سايرَ به سياسة المغول وهو كتابه الفخري ، والآخر ، كَتبَهُ إلى مسلم وهو ز نكي شاه فغير لهجته وبين حالته وهو كتابه (منية الفضلاء)[٢٠]. وهو بذلك كتب تاريخين لأمراء المسلمين وكل واحد يستدعي التدقيق ويستحق الالتفات.

فالأول كتابه الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية. لا ينكر أنه اتبع فيه منهجاً جديراً بالتقدير . إذ يتكون الكتاب من ق سمين الأول تناول فيه الحديث عن الأمور السلطانية والسياسات الملكية وما يُشترط على الملوك وحقوقه م وواجباتهم إما القسم الثاني فذكر فيه الدول الإسلامية مبتد ءاً من دولة الأربعة الراشدين و حتى سقوط آخر خليفة عباسي على يد المغول [٢١].

أما الكتاب الثاني فقد ترجم إلى الفارسية باسم (تجارب السلف) وطبع في إيران ولم يبق إلقسم الفارسي منه وقد لخص فيه السيرة النبوية ثم الخلفاء الراشدين واستمر إلى آخر العصر العباسي وقام بترجمته إلى الفلوسية هند وشاه النجحواني المتوفى سنة (٧٢٤هـ).،[٢٢]. ابن القطقطي وقدمه إلى صاحب خزانة كتب الصاحب الأعظم جلال الدين زنكي شاه ابن بدر الدين حسن أحمد الدامغاني وفيه مَ طِالب تخص المغول تضمنها علاقة بتاريخ العراق، وقد عُدّ هذا الأثر من أهم مؤلفاته نظرا للقيمة العلمية التي.

أراء المؤرخين في ابن الطقطقي

تناولت أقلام المؤرخين شخصية ابن القطقطي ودرسوا منهجهُ في التأليف، وظهرت آراؤهم مختلفة في وصف منهجه الذي اتبعهُ في تأليفه لكتاب الفخري ، لأنه أكثر مؤلفاته شهرة.

لا ينكر أن التأليف أحيانا يتأثر بالأنظمة السياسية القائمة والمؤرخ يأخذه الهو ى تجاه السلطة الحاكمة له ولكن ما نوع هذه الاتجاه اهو سياسي أم بصفة إجبارية ؟ ذلك ما يوجبه التاريخ والظروف التي مر بها المؤرخ، لذا فإن العوامل التي أدت إلى الكتابة التاريخية عند العرب تتصل بالتطورات الثقافية من جهة وبالتيارات والاتجاهات العامة من جهة أخرى.[٢٣]

والملاحظ أن ابن القطقطي قد ان ح از في مؤلفه كثير اً إلى مدح المغول ، وقد وجد المؤرخون ذلك فرصة لاتهامه (بالهوى)، فقد قال عنه الأستاذ عباس العزاوي: ((كتبت آثار عديدة إرضاءً لرغبات الآخرين بل هنالك من كتب في موضوع ثم كتب ضده وكذلك ابن الطقطقي راعى الرغبات المختلفة ... لكن التاريخ يفضح ذلك ويعدهُ خروجاً عن طريق الصدق الملتزم فيه))[٢٤]

كما ان بعض المؤرخين آخذوا عليه شيئاً من الغلو في امتداح الدولة المغولية .[٢٥] ووصفه فرانز روزنثال بأنه من الهواية إذ قال عنه: ((الف ابن الطقطقي كتابه :(الفخري) لموظف كبير وهو تاريخ لرئيس العلويين ويمكن اعتباره إنتاج هواية وقد نظر ابن الطقطقي في كتابه إلى تاريخ الخلفاء بشيء من التجرد المزدوج بقدر ما يتعلق بتقاليد التاريخ. لقد كان علوياً وكانت الخلافة أصبحت في ذمة الماضي ولكنها لم تكن قد نُسيت بعد لذلك تحجج في تقديم آرائه في السياسة وفي تقديم مجموعته الطريفة من القصَ صَ عن كل خليفة ووزرائه وأعطاهم طابعاً من الواقعية التاريخية، وهذا ينطبق على الأقل على بعض نصوص كتابه ، وقد أتيحت فرصة قليلة لبقاء بعض كتابات مؤرخين هواة ذات مستوى واطئ ، ولو بقاءً رسمياً ونادراً ما طبعت هذه الكتب)).[٢٦]

على الرغم من هذا الوصف واعتراف المؤرخين با نحيازه الى المغول ضد الحكومة السنية العباسية ،إلا أنهم يعترفون بان الحلقة الأخيرة من كتاب الفخري الخاصة بالغزو المغولي لبغداد تُعد مرجعاً أصيلا من مراجع تاريخ هذه الفترة.[٢٧]

كما إنه عدّ عند أحد المؤلفين المحدثين طرازاً نادراً من مؤرخي العرب في القرن السابع الهجري والثامن منه وكتابه الفخري هو تاريخ لدول الإسلام [٢٨]. إذ يجد فيه القارئ ذكر أخبار الأئمة والثورات التي قام بها أبناء الحسن وهو في روايته للأحداث لم يستطع أن يخُفي ميوله العلوية [٢٩].

إن تهمة الهوى لا تنطبق فقط على ابن الطقطقي إذ أن هنالك الكثير من المؤرخين الذين جرفتهم الأهواء في التأليف، فكانت مؤلفاتهم تحاكي جانباً من أهل السلطة والجاه وكتبت مؤلفاتهم لاغراض شتى، ولكن ابن الطقطقي بحكم البيئة التي عاش فيها والظروف التي لاقاها في حياته أثرت ذلك التأثير - إذ شجع المغول حرية الرأي والتعبير ، فكان عهد السلطان غازان المغولي عهد حرية وتسامح تجاه المذاهب الفكرية والأديان والفرق كافة . ومن أهم أعماله انه أنشأ في كل مدينة كبير ة في: بغداد والحلة وتبريز وأصفهان و شيراز والموصل ، مكاناً أسماه دار السيادة وجعله وقفاً يصل إلى الفقراء من العلويين ويتصرف كلها في وظائفهم [٣٠]

كان هذا الأجراء وحده كفيلاً بإنعاش الحياة الفكرية وإنمائها ذلك إنه حال دون طغيان السلفية المتشددة التي كانت تتخذ من تعصب السلطة وسيلة للضغط على الأفكار الحرة، وفي مقدمة من أفاد من هذه الحرية والمرو نة وتشجيع العلم والمذاهب الإسلامية المخالفة للسلفيين، هم العلويون من سلالة رسول الله (ص) والأئمة الآطهار ، فقد أحس هؤلاء بالجو الجديد وتركت هذه الحرية أثرها في التأليف، فكان كتاب الفخري لابن الطقطقي وكتاب تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي، وكتاب كشف الغمة في معرفة الأئمة للاربلي، تدل بوضوح على شيوع الحرية الفكرية التي شهدها ذلك العصر والتسامح الذي تميز به. ولو كان هؤلاء المؤرخون في عهد بني العباس لما استطاعوا أن يحرروا أقلامهم هذا التحرير و لا أن يعربوا عن مرادهم هذا الإعراب [٣١]

لهذا فإن سياسة المغول ساعدت أصحاب الأفكار المعارضة للعباسيين للتعبير عن أفكارهم، وأعطت العلماء حرية الرأي في التأليف. هذه السياسة بطبيعة الحال غيرت النظرة المتعصبة ضد المغول ، وفي المقابل جعلت المفكرين في تلك المرحلة يكتبون عنهم بحرية دون ضغط أو سلطة عليا ، إذ كان من آثار هذه الحرية أن ضُعفَ التعصب المذهبي وتضاءلت الفرُقة والعزلة التي نتشرت بين المذاهب الإسلامية[٣٢].

ولكن هذه الحرية حتى وان وجدت فإنها لا تكون عاملاً للتحريف أو التزييف في كتابة التاريخ ، بل من الواجب القول : إن هذه الحرية الفكرية كانت هي الفرصة الوحيدة للمؤرخين وخصوصاً الشيعة منهم ، في تأليف مؤلفاتهم وإبراز الحقيقة التاريخية ؛ لذا فإن كتاب الفخري على الرغم من أقاويل المؤرخين فيه واتهامه بالميول المغولية . إلا إنه كان (منزهاً عن الغرض) [٣٣].

إن المؤرخين من أمثال ابن الطقطقي كانوا ناقدين لا يكتفون بالنقل ولا يبلغون من الأخبار رواتها فحسب، ولكنهم وقفوا أمام الحوادث يعللون ويعارضون و يزنونها بميزا ن القسط .[٣٤]

كان منهج التأليف واضحاً لهم يتسم بالمصداقية في نقل الرواية والحدث والتحليل والموضوعية ، وعلى الرغم من ذلك يلاحظ القارئ للمنهج الذي و ضعهُ ابن الطقطقي إنه اعتمد على غيره من المؤرخين ، فقد ذكر أن مواده كانت من الكامل في التاريخ لابن الأثير.كما انه احتوي على فقرات من مصنفات مفقودة مثل الكتاب الأوسط وأخبار الزمان للمسعودي. كما انه أخذ تاريخ الوزراء عن محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥هـ) ، وعن أبي الحسين هلال بن الحسن بن إبراهيم الصابي (ت ٤٤٨هـ) من كتابه : الوزراء، أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء [٣٥].

بدأ ابن الطقطقي مقدمة كتابه شارحاً وموضحاً الغرض من تأليفهوكذلك طبيعة ذلك التأليف إذ يقول في مقدمته: ((والتزمتُ أمرين احدهما أن لا أميل فيه إلا مع الحق ولا أنطق فيه إلا بالعدل و اعزل سلطان الهوى... وأفرض نفسي غريباً منهم وأجنبيا بينهم وثانيهما أن أعبر بعبار ات واضحة تقرب من الإفهام)[٣٦] ونؤكد هذا هو واجب المؤرخ فالصدق ضرورة أساسية، يجب على المؤرخ أن يجرد نفسه من نوازع البيئة والعصبية، وان ينسلخ انسلاخاً من المنشأ حتى لا يتأثر في كتاباته التاريخية بالمؤثرات العاطفية [٣٧]

وتجدر الاشارة أن منهج ابن الطقطقي يتقارب أحيانا مع من تأثير سبقهُ في الكتابة في الأحوال السلطانية، إذ نجد أن القسم الأول من كتابه يتقارب مع مؤلفات الماوردي وابن خلدون غيرهما ممن كتب عن المُلك وما يشترط عليه الملك.

المحور الثاني

مفهوم الملك:

أولا: صفات الملك

تناول ابن الطقطقي في القسم الأول من (كتابه الفخري) الأمور السلطانية والسياسات الملكية في بداية حديثه عن ذلك، مبيناً ما يشترط على الملك من خصال وقسمها إلى نوعين بدليل قوله : ((فأول ما يقال أن الملك الفاضل هو الذي اجتمع ت فيه خصال وعدمت فيه خصال)) [٣٨] بذلك قسمها إلى مرغوبة وغير مرغوبة.

أما الخصال المستحبة فهي (العقل) فهو أصلها وأفضلها وبه تساس الدول بل حتى الملك[٣٩]. وبهذه الخصلة لا يختلف ابن القطقطي عن بقية الفقهاء إذ روت لكتب الأحكام السلطانية أن من أول واهم شروط الملك والإمام هو: العقل [٤٠].

اما الخصلة الثانية فهي (العدالة) فهو يرى انه هو الذي تُستفزز به الأموال وتعمر به الإعمال وتستصلح به ا لرجال ، [٤١] وهذه الصفة يصنع ها الماوردي في مقدمة الشروط المعتبرة في أهل الإمامة من ضرورات الملك ، والملك العادل هو الذي يعمل على بقاء سلطانه إذ قال الحكماء : إن السلاطين أنواع : سلطان عدل وأمانة وسلطان جور وسياسة، وسلطان تخليط وإضاعة [٤٢].

كما أن الرعية تحتاج إلى عدل الملوك فقد قيل : أن الرعية ستظمأ إلى عدل الملك وتدبيره استظماء الحرث إلى الغيث الوابل ، وينتعشون بانتعاشه كانتعاش النبت بما يناله من ذلك القطر بل الرعية بالملك أعظم انتفاعا منها بالغيث لان للغيث وقتاً معلوم اً وسياسة الملوك دائمة لا حد لها[٤٣].

يحتل العدل أهمية خاصة في تدبير أصل السياسة العادلة للملك ولعل أهم ما تبنى عليه السياسة العادلة هي الرغبة والرهبة والإنصاف والاتصاف. [٤٤]

وذكر ابن الطقطقي في مثال العدالة بأحداث هولاكو فيقول: ((لما فتح السلطان هولاكو بغداد سنة ٦٥٦هـ أمر أن يُستفتى العلماء أيما أفضل: السلطان الكافر العادل أم السلطان المسلم الجائر)). [٤٥] وجمع العلماء في المدرسة المستنصرية الأ وكان رضي الدين علي بن طاووس حاضراً هذا المجلس ووضع خطة في تفضيل العادل الكافر على المسلمين

ومن الخصال الأخرى المشترطة على الملك هو (العلم)، ويعبر عنه ابن الطقطقي بأنه: ثمرة العقل وبه سيتبصر الملك فيما يأتيه و يؤمن الزلل في قضاياه وأحكامه، وبه يتزين الملك في عيون العامة والخاصة ويصير به معدوداً في خواص الملك.

وهذه أهم خاصية يتحلى بها الملوك، لان العلم صفة أساسية لمن يتسلم منصب الملك ويوضح ابن الطقطقي نوع العلم المشروط على الملك بقوله (واعلم إنه ليس المراد بالعلم في الملوك هو تصور المسائل المشكلة والتبحر في غوامض العلوم والإغراق في طلبها ، ولكن العلم المطلوب عند ابن الطقطقي كما يقول هو: ((أن لا يكون الملك له أنسُ بها إلا بحيث أن يمكنه من أن يفاوض أربابها فيها مفاوضة يندفع بها الحال الحاضر)) [٤٦] .

لذلك فإن العلوم المطلوبة على الملك تشترط عليه الضرورة والتدقيق ، ويستشهد بالوزير ابن العلقمي وزير المستعصم إذ كان يفاوض كل من يدخل عليه من العلماء مفاوضة عاقل لبيب محصل . ولم تكن له بالعلوم ملكةُ ثم ينتقل إلى ذكر شخصية بدر الدين اللؤ لؤ صاحب الموصل لكثرة مجالسة الأفاضل.

ويكرر ذكره عنه بأنه كان أميا لا يكتب ولا يقرأ.

واوضح ابن الطقطقي اختلاف علوم الملوك فهي عند الفرس حكماً ووصايا وأدباً وتواريخ وهندسة .أما عند ملوك الإسلام فكانت علوم اللسان كالنحو واللغة والشعر والتواريخ.كما أن اللحن عندهم أفحش عيوب الملك وفي الدولة المغولية اهتمت بعلم السياقة والحساب لضبط المملكة وحضر الدخل والخراج . والطب لحفظ الأبدان والنجوم ولاختيار الأوقات.

ومن الصفات المرغوبة أيضا الخوف من الله فهو يقول أن هذه الخصلة ((هي أصل كل بركة فإن الملك متى خاف الله أمنهُ عباد الله)) [٤٧].

ان الملك العادل هو من يجعل مخافة الله أمام عينهُ ذلك أن الرعية أمانة في عنقه .و له شاهد في هذا الموضوع فيقول ولم يكن الرشيد يخاف الله وأفعاله بأعيان آل علي وهم أولاد بنت نبيه ولغير جرم تدل على عدم خوفه من الله .وذكر لنا خصلة أخرى من الواجب التحلي بها عند الملوك ، ألا وهي (العفو) [٤٨] عن الذنوب وحسن الصفح هي عنده اكبر خصال الخير و بها تستمال القلوب وتصلح النيات فهذه الصفة ينبغي توفرها للملك المنتخب لتدبير رعيته إذ بها تقوم دولته و تدوم مملكته ولا يوافق ابن الطقطقي من يرى أن الحقد خصلة

محمودة في الملك، وهو بذلك يفرضها على الناس مرتكبي الخطأ فيكون الملك حامل الحقد عليهم ومتى ما كان حقوداً فسدت نيته لرعيته [٤٩] ومن الخصال الأخرى هي خصلة (الكرم) وهي عنده الأصل في استمالة القلوب وتحصل النصائح من العِالم واستخدام الأشراف [٥٠] وكذلك (الهيبة) و بها يحفظ نظام المملكة ويحرس من أطماع الرعية كما أن الملوك كانوا يبالغون في إقامة الهيبة والناموس [٥١]، ويتعلق ذلك حتى بارتباط الأسود والفيلة والنمور ويضرب البوقان الكبار وخفق الألوية على رؤسهم كل ذلك لإثبات الهيبة [٥٢] ويتفق ابن خلدون [٥٣] مع ابن الطقطقي فهو يقول : اعلم إن للسلطان شارات وأحوالاً تقتضيها الأبهة والبذخ فيختص بها ويتميز عن الرعية والبطانة وسائر الرؤساء في دولته ومن شاراته اتخاذ الآلة من نشر الألوية والرايات وقرع الطبول والنفخ في الأبواق وذكر أرسطو أن السر في ذلك إرهاب العدو.

وتحتل السياسة أهمية كبيرة عند ابن الطقطقي ويضيف لها ايضاً جانب والوفاء بالعهد فهو العامل الأخر إلى جانب السياسة الذي يعمل في تسكين القلوب وطمأنينة النفوس ووثوق الرعية بالملك إذا طلب الأمان من خائف ، أو أراد المُعاهدة منه مُعاهِد .

ومن أهم الصفات التي أبرزها ابن الطقطقي هي الاطلاع على غوامض أحكام المملكة ودقائق أمور الرعية ومجازا ة المُحسن على إحسانه والمُسيء على إساءته وهذه من أهم الصفات الواجب توافرها عند الملك ذلك إن الملك يجب أن يحرص كل الحرص على أن يكون خابراً في أمور أعماله ومملكته إذ أن المسيء يفرق من خبرته قبل أن تصيبه عقوبة الملك، وان المحسن يستبشر بعلم الملك قبل أن يأتيه معروفهُ [٥٤]، وبعد هذه الصفات ذكر ابن الطقطقي صفاتٍ يجب التحلي بها إضافة إلى ما جاء ذكره ومنها : ينبغي على الملك أن يكون أسمع من فرس، وأبصرَ من عُقاب، واهدأ من قطاة، واشد حذراً من غراب، وأعظم إقداماً من الأسد، وأقوى وأسرع وثوباً من الفهد [٥٥]

أكد ابن الطقطقي أن الناس على دين ملوكهم إذ يعزر ذلك القول بان للملك أمورا تخصه يتميز بها عن السوقة منها إنه إذا أحب شيئا أحبه الناس، وإذا ابغض شيئا ابغضه الناس، وإذا لهج بشيء لهج به الناس إما طبعاً أو تطبعاً ليتقربوا بذلك إلى قلبه؛ لذلك قيل : أن الناس على دين ملوكهم[٥٦].

فهذه اذا إن تحلت المجتمعات بهذه الصفات أصبحت طبائعهم تناسب طبائع ملوكهم ، وهذا عند ابن الطقطقي من خواص الدولة وأسرار الملك.ومنها أيضا أن صحبتهُ تورث البتهِ والكبر وتقو ي القلب وتُكبر النفس ، ومن خواصه أيضا إذا أعرضَ عن إنسان وجدَ ذلك الإنسان في نفسهُ ضعفاً وإن لم ينله بمكروه.وإن لم يصبه منه خير بل مجرد الإعراض والإقبال يفعل ذلك وليس أحد من الناس بهذه المنزلة غير السلطان [٥٧] وأما (الحزم) فهو الأصل الذي يُبنى عليه في تحصين المملكة.

ثانياً- الصفات غير المستحبة في الملك:

في هذه الصفات لا يختلف ابن الطقطقي عن ابن المقفع ، وفيها اعتمد ابن الطقطقي على ابن المقفع، منها ليس للملك أن يغضب لان القدرة من وراء خاصية وليس له أن يكذب، لأنه لا يقدر احد على إلزامه بغير ما يريد وليس له أن يبخل لأنه اقل الناس عذراً في خوف الفقر، وليس له أن يكون حقوداً لان قدره قد عظم عند المجازاة لأحد على إساءةٍ صدرت فيه، وليس له أن يحلف إذ حدّث، لان الذي يحمل الإنسان على اليمين في حديثه خلالُ: أما مهانة يجدها في نفسه إلى أن يصدقه الناس و أما عي وحصرٌ وعجز عن ال كلام فيريد أن يجعل اليمين تتمةً لكلامه أو حشواً فيه، و إما أن يكون قد عُرف انه مشهور عند الناس بالكذب فهو يجعل نفسهُ بمنزلة من لا يصَدق، ولا يقبل قوله إلا باليمين، وحينئذ كلما ازداد إيمانا ازداد الناس له تكذيباً، والملك بمعزلٍ عن هذه الدنايا كلها وقدرهُ أكبر من ذلك. [٥٨]

ومن الخصال التي يُستحب أن تكون معدومة في الملك: الحدة فإنها ربما أصدرت عنه فعلاً يندم عليه حين لا ينفع الندمُ وأكثر ما ترى الجداد من الرجال سريعي الرجوع . ومن الصفات الأخرى التي يستحب عدمها في الملك : الضجر والسأم والملل، فذلك من أضرر الأمور وأفسدها للحالة [٥٩]

حقوق الملك:

هناك حقوق وواجبات للملك على الرعية . كما أن الرعية لها حقوق عليه.

أ- حقوق الملك على الرعية:

منها (الطاعة) وهي الأصل الذي ينتظم به صلاح أمور الجمهور ويتمكن به الملك من الإنصاف للضعيف من القوى والقسمة بالحق. [٦٠]

ومنها أيضا (التعظيم) والتفخيم لشأنه في الباطن والظاهر وتعويد النفس على ذلك ورياضتها به، بحيث تصير ملكه مستقرة وتربية الأولاد على ذلك وتأديبهم به ليتربى هذا المعنى معهم [٦١].

ومن الحقوق الواجبة للملك على رعيته (النصيحة) وكذلك ترك اغتياب الملك في ظهر الغيب.

هي الأمور الواجب العمل بها من الرعية تجاه الملوك؛ لان العلاقة بين الملك والرعية علاقة ارتباط، وهي تعمل على تثبيت الملك أو نهايته.إذ أن منزلة السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد فإذا صفت الروح من الكدر سرت الجوارح السليمة وسرت جميع أجزاء الجسد، ومثال السلطان مثال النار ومثال الخلق مثال الخشب فما كان منها معتدلاً لم يحتج إلى النار وما كان منها متأوداً احتاج إلى النار ليقاوم فيعدل عن عوجه. [٦٢]

ب- حقوق الرعية على الملك:

أما الحقوق الواجبة للرعية على الملك فمنها : حماية البيضة وسد الثغور وتحصين الأطراف وأمن السوابل وقمع الدعار [٦٣].ومن الحقوق الأخرى المفروضة على الملك تجاه الرعية : الرفق بهم والصبر على صادرات هفواتهم .[٦٤] ومنها أيضا ردع قويهم عن ضعيفهم وإنصاف ذليلهم عن عزيزهم ، وإقامة الحدود فيهم ، وإقرار حقوقهم مقارها وإغاثة ملهوفهم وإجابة مستصرخهم، والتسوية في حكمه بين الأبعد منهم والأقرب والاذل والأعز [٦٥]، ومن الواجبات المفروضة على الملك أيضا أن يعرف نعمة الله بان اصطفاه لهذه المرتبة العلية دون سائر الخلق وبان جعله يفزع منه كل احد ولم يجعله يفزع من أحد فما يزال لها شاكراً ذاكراً . ويجب أن يكون بينه وبين ربه معاملة سرية لا يعلم بها إلا الله فتلك المعاملة تقي مصارع السوء. ويجب أن يكون له دعوات يناجي بها ربه وهي دعوات تليق بالملوك ولا تصح للعوام. ويثبت ابن الطقطقي دعاءً ملكياً لم يسبقه فيه أحد قبله [٦٦]

ومما يجب على الملك الفاضل أيضا إمعان النظر في أمر الأسرار وصونها وتحصينها وحراستها من الإفشاء والضياع ، وهذا باب يحتاج فيه إلى التأني التام فكم من مملكة خربت وكم من نفس تلفت بسبب ظهور سر واحد ، كما أن حفظ السر وكتمانه من أفضل ما اعتنى به الإنسان.[٦٧]

طباع الملوك:

أ- ما يكره للملك من الطباع

ومنها مخالطة الأنذال والسوقة والجُ هال ، فإن سماع ألفاظهم الساقطة ومعانيهم المرذولة وعباراتهم الدنيّة ، مما يحط الهمة ويضع المنزلة ويصدئ القلب ويزري بالملك.[٦٨]

وكذلك مما يكره للملوك المبالغة إلى النساء ، والانهماك في مجتمعهن وقطع الزمان بالخلود معهن، فأما مشاورتهن في الأمور فمجلبة للعجز ومَ دعاة إلى الفساد ، ومنبهة على ضعف الرأي ، اللهم إلا أن تكون مشاورتهن يراد بها مخالفتهن [٦٩].ومما يكره للملك أيضا الانهماك في اللذات وسماع الأغاني وقطع الزمان [٧٠].

ومما لا يليق في الملك الكامل : الإفاضة في مجلسه في وصف ال طعام والنساء لئلا يشارك بذلك العامة لان العامة قد قنعوا من عيشتهم بالبسير واقتصروا عليه وتركوا الأمور الكبار، فإذا أرادوا أن يفيضوا في حديث لم يكن لهم إلا وصف أنواع الأطعمة ووصف أصناف النساء.[٧١] يضاف أيضا من جملة الأمور المكروه أيضا للسلطان أن لا يشتغل بلعب الشطرنج وشرب الخمر وض رب الكرة والصولجان والصيد لان ذلك يمنعه ويشغله عن أمور الرعية فإن لكل عمل وقتاًً فإذا فات الوقت عاد الربح خسراناًً [٧٢]

ب- ما يليق من الطباع

وأما أهم الطباع التي أشار إليها ابن الطقطقي والواجب توفرها في سلوك الملوك فهي أن يكون الملك عالي الهمة رحيب الصدر محباًً للرياسة مُعداًً لها أسبابها ، طامح لبصر إليها مرحملاً فكره في توسيع مملكته وعلو درجته، غير مخلد إلى التنعيم لا جانحاً إلى الترف ولا منهمكاً في اللذات [٧٣] ومما يكمل فضيلة الملك أن تكون قوة الاختيار عنده سليمة لم تعترضها آفة فيكون يختار الرجال اختياراًً فاضلاًً [٧٤]

ومن هذه الرؤية التي طرحها ابن الطقطقي يتضح لنا أن أهم ما يجب على الملوك التحلي به من الطباع : هو الابتعاد عن الترف والانهماك في الملذات ، كما أن الأخلاق ضرورة أساسية هنا لطباع الملوك . فحقٌ على ذي الإمرة والسلطان أن يهتم بمراعاة أخلاقه وإصلاح شيمته؛ لأنها آلة سلطانه وأسس إمرته. [٧٥]

وعلى الرغم من ذلك فان الغالب على الملوك هو خلاف ما يظهر من هذه الصفات ، ذلك أن الملك منصبٌ شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدينة والملاذ النفسانية فيقع فيه التنافس غالباً[٧٦].

وفي المقابل فإن الأدب وصفٌ مشروط للملك في تدبير مملكته [٧٧]؛ وضرورة على الملك أن يُعوِّد نفسه الصبر على من خالفه من ذوي النصيحة والتجرع لمرارة قولهم وعذلهم

ج - في الأحكام والعقوبات

يقول ابن الطقطقي : ((ويجب على الملك أن ينظر في أمر القتل وإزهاق النفس فيعلم إنه الحادث الذي لاحياة للحيوان بعده في الدنيا ، وإنه لو اجتهد أهل الأرض كلهم على إعادته للحياة لم يقدروا على ذلك ، وبحسب هذا الحال يجب أن يكون تثبيته في إزهاق النفس وهدم الصور وتأنيه وترويه حتى تقوم الأدلة على وجوب القتل ، فإذا وجب استعملهُ على الوضع المعهود من غير تأنق فيه وتنوع غريب وتمثيل بالمقتول)). [٧٨]

وبهذا فإن عقوبة المثلى غير مشروطة على الملوك وهي ما جاء تأكيدها عند الرسول (ص) بقوله: ((إياكم والمثلى ولو بالكلب العقور)) كما يؤكد ابن الطقطقي ضرورة التأني في القتل والتثبيت منه إذ يقول: ((ومن فوائد التأني والتثبيت في القتل : الأمن من الندم حين لا يجدي الندم، وكان أفاضل الملوك والخلفاء يستعملون هذه الخصلة كثيراً، فلا يسرعون إلى قتل رجل معروف مشهور خوفاً من أن يحتاجوا إليه بعد ذلك فيتعذر عليهم ، بل كانوا يحبسونه في غوامض دورهم ويقيمون له كل ما يحتاج إليه من أطعمة شهية وفواكه وثلج وأشربة وفرش وثير، ويحملون إليه كتباً يلهو بها ويقطعون خبره عن الناس حتى يثبت في نفوس أهله وأصحابه عنه قد هلك ثم يستصفي أمواله وأموال أصحابه ويستخرج ذخائره وودائعه إليه، فيخرجوه مكرماً وقد تأدب وتهذب)).

ذكر ابن الطقطقي مزلة ربما وقع فيها أفاضل الملوك في موضوع القتل ، وهي أن بعض الملوك ربما كان معجباً بنفسه ومحباً لان ينتشر عنه حديث صرامة وشهامة وسياسةً قاهرة، فيستهين بالقتل ويُسهل أمره ويبادر إليه ، وغرضه إثبات الهيبة وإقامة السياسة من غير التفات إلى ما في طي ذلك من إزهاق النفس التي حُرمت إلا بالحق، وهذا

من أخطر الأمور على الملك والصواب أن ما يزال في نفسه كارهاً للقتل صادفاً عنه مهما أمكن، حتى تدعو إليه ضرورة الحياة فحينئذ يقدم عليه بنفسٍ قوية وجنانٍ ثابتٍ [٧٩]

أما أصناف العقوبات فيؤكد ابن الطقطقي أن يجب على الملك الكامل أن ينعم النظر فيها وأصعب ما فيها التعذيب بالنار وهي عقوبة غير مباركة؛ لان العقوبة بالنار مختصة بالله عز وجل فلا يجوز للعبد أن يشارك فيها. [٨٠]

والنظر في أصناف العقوبات موكل إلى نظر الملك الفاضل وبحسب ما يقتضيه الحال الحاضر، ولكن الأصل الكلي فيه أن يكون الملك في نفسه كارهاً لذلك غير متعللٍ به لا يبادر إليه ولا يقدم عليه، إلا إذا دعت ضرورة ماسة لا يقضي فيها حق نفسه ولا يشفي فيها غيظ صدره وهذا مقام صعب لا يرتقي إليه احد إلا من أخذ التوفيق بيده [٨١].

د- في الرأي والمشورة

يرى ابن الطقطقي من واجب الملك أن لا يستبد برأيه ، وان يشاور في الملمات خواص الناس وعقلاءهم ومن يتفرس فيه الذكاء والعقل وجودة الرأي وصحة التميز ومعرفة الأمور. ولا ينبغي أن تمنعه غرة الملك من إيناس المستشار به وبسطة واستمالة قلبه حتى يمحظه النصيحة فإن احداً لا ينصح بالقسر ولا يعطي نصيحة إلا بالرعية[٨٢].

والخطأ مع المشورة أصلح من الصواب مع الانفراد والاستبداد [٨٣]، وهذا ما يتوجب على الملك فالاستبداد بالرأي وعدم المشورة والاستخفاف بآراء الآخرين يؤدي إلى هلاك الملك.

فعلى الملك إذا ما همّ بعمل أو اعترضه أمر أن يستشير مسني مملكته المحنكين ومؤيديها وأولي الأمر فيها، ليدلي كل منهم بما يعن له من رأي في الموضوع ما يقابل آراءهم بما يراه الملك[٨٤].

وهنا يجتمع عند الملك آراء عديدة يظهر بعدها بالرأي الصواب ويختار أحسن الآراء.

على ضوء ذلك لا بد للملك من مستشار مأمون يفضي إليه بسره ويعاونه على رأيه، فإن المستشير وإن كان أفضل من المستشار وأكمل عقلا وأصح رأيا قد يزداد برأي المشير

رأيا .كما تزداد النار بالدهن ضوءاً ونوراً .[٨٥]أما عدم المشورة فمن ضعف الرأي ، ويُدعى الشخص من هذا الصنف بـ: المتشبث، أو المستبد برأيه.[٨٦]

المحور الثالث:

مفهوم السياسة:

تتصدر السياسة أهمية كبيرة في كتاب الفخري وهي لا تختلف عن الملك ، كما أنها العنصر الثاني المهم في الأمور السلطانية التي فصلها القسم الأول من كتابه.

والسياسة عند ابن الطقطقي هي رأس مال الملك وعليها التعويل في حقن الدماء وحفظ الأموال ومنع الشرور وقمع الدُعار والمفسدين ، والمنع من التظالم المؤدي إلى الفتنة والاضطراب[٨٧].

قسّم ابن الطقطقي أنواع السياسات إلى خمسة أنواع، وهي: سياسة المنزل والقرية والمدينة والجيش والملك ، فمن حسنت سياسته في منزله حسُنت سياسته في قريته ومن حسُنت سياسته في قريته حسُنت سياسته في مدينته ومن حسُنت سياسته من مدينته حسُنت سياسته للجيش ومن حسُنت سياسته للجيش حسُنت سياسته للملك. [٨٨]

لكن هذا الترتيب لأنماط السياسة يصرح عنه ابن الطقطقي بأنه هذا غير لازم مبرراً ذلك بقوله:((فكم من عامي حسن السياسة لمنزله ليس له قوة سياسة الأمور الكبار وكم من ملك حسن السياسة لمملكته ليس يُحسن سياسة منزله ، والمملكة تُحرس بالسيف وتُدير بالقلم واختلفوا بالسيف والقلم أيهما أفضل وأولى بالتقديم فقوم يرون أن يكون القلم غالباً للسيف، واحتجوا على مذهبهم لان السيف يحفظ القلم فهو يجري مجرى الحارس والخادم وقوم يرون أن يكون السيف هو الغالب واحتجوا بان القلم يخدم السيف لأنه يحصل لأصحابه السيوف أرزاقهم فهو كالخادم لهُ، وقوم قالوا هما سواء ولا غنىً لأحدهما عن الآخر وقالوا : المملكة تُخصب بالسخاء وتعُمر بالعدل وتُثبت بالعقل وتُحرس بالشجاعة وتُساس بالرياسة وقالوا : الشجاعة لصاحب الدولة)) [٨٩].

سياسة الرياسة

أوضح ابن الطقطقي أن سياسة الرياسة أشد من الرياسة كما أن سياسة الخدمة اشد من الخدمة ما وأن التوقي بعد شرب الدواء أشد من الدواء، وكذلك رب الصنيعة أشد من

الصنيعة وعلى الرئيس أن يصرب على مضض الرياسة .ويستند قوله بحكماء الترك في خصال قائد الجيش، فيقول: ((ينبغي أن يكون في قائد الجيش عشر خصال وهي : أخلاق الحيوان، جُرأة الأسد، وحملة الخنزير، وروغان الثعلب، وصبر الكلب على الجراح، وغارة الذئب، وحراسة الكركي، وسخاء الديك، وشفقة الدجاجة على الفراريج، وحذر الغراب، ويمن تعرو (وهي دابة تكون بخراسان تسمن على السفر والكد).

والفاضل من طلاب الرياسة هو الذي يكون مطبوعاً على المعرفة، خلوقاً في صحة التمييز، مكتسباً للعلم بما جرى في الدنيا من تصاريف الدهور وتنتقل الدول عارفاً بدارات الأعداء ،كتوماً لسره، إذ كان قطب السياسة عليه يدور، وان يستمد لفعله من عقول العقلاء، فإن الفعل الفرد لا يقوم بنفسه، وينبغي أن يكون ذا رؤية عند اشتباه الآراء وعزيمة اختلاف الأهواء حتى يكشف. [٩٠]

أصناف السياسة

قسم ابن الطقطقي أصناف السياسة وجعل لكل صنف من الرعية صنفاً من السياسة ، فالأفاضل عنده يساسون، بمكارم الأخلاق والإرشاد اللطيف، والأوساط يساسون بالرغبة الممزوجة بالرهبة ، والعوام يساسون بالرهبة وإلزامهم الجدد المستقيم وقسرهم على الحق الصريح. [٩١]

على ضوء هذا التصنيف، يمكن ملاحظة أنواع السياسة التي يجب التعامل بها من قبل الملوك تجاه رعاياهم أن فللسياسة هي القانون الموضوع لرعايۃ الآداب والمصالح وانتظام الأحوال . فإن لم يتمكن الملك من إصلاح سياسته فسد ملكه إذ قالوا : صناعة الملك السياسة.[٩٢] فحقُ على الملك تجاه رعيته تهذيب سياسته وإصلاحها مع ما يتماشى وطبقات المجتمع.

الخاتمة

من خلال محتويات البحث وعلى ضوء ما توافر من ملاحظات ، يمكن أن نستنتج أن شخصية ابن الطقطقي تعرضت إلى القدح من قبل المؤرخين ، وقد عدّ عند بعضهم من المؤرخين الهواة.

أظهرت مؤلفاته ميلاً للمغول خصوصاً، ولكن قراءةً متأنية لما كتبه ابن الطقطقي يلاحظ بجلاء أنه نقل حقائق تاريخية كان قد شهدها هو ضمنهّا خصوصاً مؤلفاته عن العصر المغولي.

لذا فهو يعد وثيقة مهمة لتلك لمرحلة ؛ لأنه شاهد عَيان عليها، وعلى الرغم من زعم بعض المؤرخين ، إلا أن البعض منهم اعترف بذلك صراحةً أنه مصدرٌ مهم مٌ لدراسة تاريخ الدول الإسلامية.

تميز منهج ابن الطقطقي بأسلوب واضح في سرد الأحداث التاريخية ، إذ فكان يربط الحادثة التاريخية بقصة أو رواية .فهو يمتلك أسلوباً قصصياً رائعاً في عرض الحوادث التاريخية.

يقترب ابن الطقطقي مع كثير من المؤرخين والسياسيين الذين وضعوا نظريات الملك والسياسة، وكثيراً ما نجد هذا التقارب مع ابن المقفع والماوردي وابن خلدون وغيرهم .

كما أننا نرى أنه يمتلك وعياً سياسياً صادراً عن الملاحظة، وشعوراً وحساً تاريخياً هادفاً إلى الحقيقة المنشودة.

هوامش البحث

١- انظر، ابن عنبه، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني (ت: ٨٢٨هـ - ١٤٢٥م)عم دة الطالب في انساب آل ابي طالب، مطبعة الصدر، قم ١٩٩٦، ص١٥٤،وكذلك العزاوي، عباس، التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان، شركة التجارة والطباعة المحدودة ، بغداد، ١٩٥٧، ص١٣١، وكذلك الزركلي، خير الدين، الاعلام، دار العلم للملايين، بيروت ، ج(٦)ص.٢٨٣

٢- صائب عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين في علم التاريخ نشاةً وتدويناًً و نقداًً وفلسفةً ومناهج كبار مؤرخي الاسلام، مؤسسة الغدير. بيروت ، ط(١) ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص.٢٨٠

٣- ابن عنبة ، عمدة الطالب، ص.١٥٤

٤- البستاني، فؤاد أفرام، دائرة المعارف ، بيروت ١٩٦٠، مجلد (٣)، ص٧-٣.

٥- هيو ارت، ابن الطقطقي، دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة محمد ثا بت الفندي وآخرون، ١٩٣٣، ج(١)، ص.٢١٨

٦- احمد عطية الله، القاموس الاسلامي، مكتب النهضة المصرية القاهرة، ١٩٧٦، ج٤، ص.٥١٨

٧- البتاني، دائرة المعارف، ج٣، ص.٣٠٧

٨- خصباك، جعفر ، العراق في عهد المغول الايلخانيين ، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٨. ، ص٧٣.

٩- بدري محمد فهد، تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير، مطبعة الارشاد ، بغداد١٩٧٣.ص ١٠١.

١٠- آل ياسين محمد مفيد، العلامة ال حلي، رسالة ماجست ير غير منشورة كلية الآداب جامعة بغداد . ١٩٧١.ص١٩

١١- ابن الفوطي، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق (ت٧٢٣هـ)، الحوادث الجامعة ، تحقيق المرحوم مهدي النجم، دار الكتب العلمية في بيروت ٢٠٠٣، ص٢٥٨.

* نقابة العلويين (الطالبيين): وهي نقابة تهتم بأمور الطالبيين والعلويين ومتولي ديوان هذه النقابة يطلق عليه نقيب الطالبيين، وهو رجل من كبار البيت العلوي في العراق ، يوكل اليه امر النقابة لكي يعني بامر العلويين،وكانت تولي ته تتم مثل بقية متولي الدواوين . انظر بدري محمد فهد . تاريخ العراق، ص ٢٣٧،- ٢٤٣

١٢- ابن عنبة، المصدر السابق، ص.١٦١

١٣- المصدر نفسه ، ص.١٦٢

١٤- البستاني، دائرة المعارف،ج٣، .٣٠٧

١٥- ابن عنبه، عمدة الطالب،ص.١٦٢

١٦- صائب عبدالحميد، علم التاريخ ، ص٢٨٠. وكذلك ابن عنبه ، عمدة الطالب ، ص ١٦٢ وكذلك العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ص.١٣١

١٧- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة ،ص٢٦٧، كذلك ابن عنبه ، عمدة الطالب، ص.١٦٢

١٨- صائب عبد الحميد، علم التاريخ، ص٢٨٠.

(**) مُراغة، مدينة مشهورة في بلاد اذربيجان وهي كثيرة الاهل عظيمة القدر غزيرة الانهار كثيرة الاشجار وافرة الثمار انظر: الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان تحقيق : فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية بيروت، ج ٥ ، ص١٠٩. وكذلك القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود، اثار البلاد و أخبار العباد، دار صادرت بيروت ، ص.٥٦٢

١٩- صائب عبد الحميد، علم التاريخ، ص٢٨٠.

٢٠- العزاوي ، التعريف بالمؤرخين، ص.١٣١

٢١- ابن الطقطقي، علي بن محمد بن علي ، الفخري في الآداب السلطانية والدولة الاسلامية منشورات الشريف المرتضى .

٢٢- انظر بالفارسية: هندوشاه بن سنجر بن عبد الله صاحبي نخجواني، تجارب السلف،در تواريخ وزاري إيشان، تصحيح واهتمام، عباس إقبال، مطبعة فردين طهران ١٣١٣هـ.

٢٣-الدوري ، عبد العزيز، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب المسلمين، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٠،ص.١٣١

٢٤- التعريف بالمؤرخين، ص.١٣٢

٢٥- البستاني ، دائرة المعارف، ج٣،ص.٣٠٧
٢٦- روزنتال ،فرانز، علم التأريخ عند المسلمين، ترجمة صالح احمد العلي مراجعة محمد توفيق حسين، مكتبة المثنى بغداد ١٩٦٣.ص.٨٢
٢٧- احمد عطية الله، القاموس الاسلامي،ج (٤)ص٥١٩.
٢٨- انظر : محمد عبد الغني حسن ، عل م التأريخ عند العرب المسل مين، مؤسسة المطبوعات الحديثة القاهرة، ص.١١٧
٢٩- نبيلة عبد المنعم داود، نشأة الشيعة الأمامية دار المؤرخ العربي، بيروت ط (١)، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤، ص١٨
٣٠- الغياثي، عبد الله بن فتح الله، التاريخ الغياثي الفصل الخامس من سنة ٦٥٦- ٨٩١هـ دراسة وتحقيق طارق نافع الحمداني مطبعة اسعد، (بغداد، ١٩٧٥م)، ص.١٥
٣١- آل ياسين ، محمد مفيد، الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري، الدار العربية للطباعة ، ط(١)، (بغداد ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩)،ص .١٣٥
٣٢- المرجع نفسه، ص.١٣٧
٣٣- هيوارت، ابن الطقطقي، دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة : محمد ثابت الفندي وآخر ون (٣)، ١٩٣٣، ص٢١٧.
٣٤- محمد عبد الغني، علم التاريخ، ص.٤٠٤
٣٥- هيورات، المرجع السابق،ص.٢١٧
٣٦- ابن الطقطقي، محمد بن علي ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، منشورات الشريف الرضي، ص.١٤
٣٧- محمد عبد الغني حسن،علم التاريخ، ص.١١٨
٣٨- ابن الطقطقي ، الفخري، ص١٧.
٣٩- المصدر نفسه ،ص١٧ .
٤٠- المصدر نفسه ،ص١٧ .
٤١- انظر: الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد، (ت:٤٥٠هـ) الاحكام السلطانية والولايات الاسلامية، دار الكتب العلمية بيروت ، ص.٦
٤٢- الماوردي، الاحكام السلطانية، ص.٦
٤٣- المرادي، ابو بكر محمد بن الحسن، (ت٤٨٩هـ)، كتاب السياسة او الإ شارة إلى تدبير الإمارة، دار الكتب العلمية بيروت، ص.٤٢
٤٤- الشيزري، عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر (ت:٥٩٠هـ)، النهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق : محمد حسن اسماعيل، دار الكتب العلمية بيروت، ص.٧٩
٤٥- الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد ، تسهيل النظر وتعجيل الظفر، تحقيق : د.محي هلال السرحان، دار النهضة العربية بيروت ١٩٨١، ص١٨١.
٤٦- ابن الطقطقي، الفخري، ص.١٧
٤٧- المصدر نفسه ،ص١٧ .
٤٨- المصدر نفسه ،ص١٧ .
٤٩- المصدر نفسه،ص١٧ .
٥٠- المصدر نفسه، ص١٨ .
٥١- - المصدر نفسه ،ص١٩ .
٥٢- المصدر نفسه ، ص١٩ .
٥٣- المصدر نفسه ،ص٢٠ .
٥٤- المصدر نفسه ،ص٢٠ .
٥٥- انظر الشيزري، النهج المسلوك، ص.٩١
٥٦- ابن الطقطقي ، الفخري،ص٢١. .
٥٧- المصدر نفسه ،ص٢١ .

٥٨- المصدر نفسه ،ص٢١ .
٥٩- عبد الرحمن بن محمد ، المقدمة، دار الكتاب اللبناني بيروت ، مجلد (١) ١٤٢٠/ ١٩٩٩م، ص٤٥٦-٤٥٧.
٦٠-المصدر نفسه،ص٤٥٧ .
٦١- ابن الطقطقي ، الفخري،، ص٢٤.
٦٢- انظر ابن المقفع ، الأدب الكبير، ص٧١.
٦٣- - ابن الطقطقي ، الفخري،ص٢٥.
٦٤- المصدر نفسه،ص.٢٦
٦٥- ابن الطقطقي ، الفخري،٢٦-٢٧.
٦٦- ابن الطقطقي ،ص٢٧ .
٦٧- ابن الطقطقي ، الفخري،ص٢٧.
٦٨- المصدر نفسه،ص٢٧.
٦٩- ابن الطقطقي ، الفخري،ص٢٨.
٧٠- ابن الطقطقي،الفخري ،ص٢٨ .
٧١- ابن الطقطقي ، الفخري،ص٣٣.
٧٢- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد (ت: ٥٢٢٠هـ)، سراج الملوك، المكتبة المحمودية التجارية القاهرة/ ١٣٥٤هـ -١٩٣٥م، ص٩١.
٧٣- ابن الطقطقي ، الفخري،ص.٣٤
٧٤- المصدر نفسه،ص٣٣.
٧٥- المصدر نفسه ،ص٣٤ .
٧٦- المصدر نفسه ،ص٣٤ .
٧٧ - المصدر نفسه،ص٣٥.
٧٨- انظر تفاصيل الدعاء، الفخري، ٣٦.
٧٩- ابن الطقطقي ، الفخري،ص٦٠.
٨٠- المصدر نفسه،ص٣٦.
٨١- المصدر نفسه،ص.٤٠
٨٢- المصدر نفسه،ص.٤٥
٨٣- المصدر نفسه،ص.٥٧
٨٤- الغزالي،ابوحامد (ت٥٠٥هـ)،البتوالمسبوك في نصحية الملوك مطبعة الآداب القاهرة، ص.٦٤
٨٥- ابن الطقطقي ، الفخري،ص.٣٨
٨٦- المصدر نفسه،ص.٣٩
٨٧- الماوردي، تسهيل النظر، ص.٨
٨٨- ابن خلدون ، المقدمة ، ج (١)، ص.٢٧١
٨٩- الشيزري، النهج المسلوك،ص.٨١
٩٠- ابن المقفع، الادب الكبير، دار صادر بيروت ١٣٨٤هـ /١٩٦٤م، ص٧١.
٩١- ابن الطقطقي ،الفخري ،ص٤٢ .
٩٢- ابو لي الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي (ت: ٤٨٥هـ/ ١٠٩٣م)، سياسة نامة او سيرالملوك، ترجمة يوسف بكار دار المناهل بيروت ط (١) ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ، ص١٢٨. وانظر أيضاً الماوردي ، علي بن محمد ، نصيحة الملوك تحقيق: محمد جاسم الحديثي، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٨٦م، ص٣٥٩.

Abstract

Many of our Arab Moslem historians paid so much attention to study ownership, policy, 'sultanic' issues, and they established basis and theories which became later on the principles for studying administration and political regulations of different states, and they still have great significance in the historical studies, especially the ones correlated to issues of states, and the reasons of their fall. Many great historians, like Ibn Khaldun, Almawirdy and Ibn Al-Taqtaqy and others, paid special attention to such issues, and their theories are still taken into account.

Ibn Al-Taqtaqy, in particular, is one of the most important authors who dedicated his efforts to study rules and issues of power of governing (sultanic issues) as well as the issues of the Islamic states. His honorary book on the rules and the literatures of power of governing (sultanic literatures), included the provisions that the king and the subjects should stick to, and the provisions and of policy and headship and the Islamic states. Ibn Al-Taqtaqy aimed at making sultans and princes aware of the political and administration issues, and governing issues. He dealt in the first chapter of his book with the issues of ruling and the royal policies, and the characteristics of the king, and what he must do for the prosperity of his subjects, and what they had to do in return.

This is what provoked studying the concept of ruling and policy, and the point of view put forth by Ibn Al-Taqtaqy about these two terms. And this study confines to talking about those two terms owing to their importance in the administration and political issues. In addition, he explained in details what concerned them in the first chapter of his book, and he explained those concepts and what the king's duties are towards his subjects, his characteristics, what is unpleasant in his habits and natures. Ibn Al-Taqtaqy also explained that the reasons behind falling of states result from weak kings undertaking tasks of ruling, which he considered the main reason of fall of those states. Finally, he explained kinds of policies and their philosophy, and their effects in the life of those states.

This study consists of three researches and a conclusion. The first research deals with the life of Ibn Al-Taqtaqy and his method in writing history, and the Islamic rules and the ruling (Sultanic) issues. The second research deals with Ibn Al-Taqtaqy's concept of the king and the provisions he should acquire to be qualified for ruling, and his duties towards his subjects, while the third research deals with Ibn Al-Taqtaqy's point of view of policy and the provisions and theories he had put about them, and their effects in the policies of the Islamic states. Finally, comes the conclusion including results of the study.

This study is an attempt to clarify the importance of the political systems as seen by the Arab historian, and it confines to talking about Ibn Al-Taqtaqy being one of the most important thinkers and political theorists who dealt with the power of governing (sultanic) issues. It was found, through study, that Ibn Al-Taqtaqy's philosophy considered success of states because of success of their policies and the way of choosing their kings, and their natures and characteristics towards their subjects. He did have shrewd insight in describing the king's characteristics and the provisions of the successful king and his policies of managing the issues of states on the grounds of those policies.